

كلمة في الشعر

A propos d'un diwân récent.

أخذ الأستاذ الشاعر المصري جميل صدقي الزهاوي في طبع «الباب» وهو مختار أشعاره . وقد طلبنا إليه أن يذكر لنا ما يرثيه في الشعر بعد أن قرضه سنين مديدة وقد علمه الاختبار ما لا يعلمه غيره ، كما طلبنا إليه أن يبين لنا ما يريد أن يدونه في ديوانه الجديد ، فكتب إلينا هذه السطور التي نخلد له الذكر الطيب ونبين للقوم مزاي الشعر العربي الصميم المصري الحقيقي .

(لغة العرب)

ما أكثر خلاف المتأدين في الشعر وفي الجيد منه ! ولكل أحد ذراع يقيسه بها ، فإن وافقها عدل حسنا ، وإن خالفها ظنه سيئا ! ولما كان مستوى الأكثرين عندنا في الأدب منحطا ، لم يرضوا إلا ما وافق مقاييسهم من الأساليب الرجعية وهناك من لا يعجبه من الشعر ، إلا ما كان في الفاظه وأسلوبه تقليد الشعراء الجاهلية ، أو صلب الأسلام ، وإن كانت معانيه سقيمة لا صلة لها بالشعور المصري . ومن لا يرضيه إلا ما كان في معانيه تقليد لشعراء الغرب ، وإن كانت الفاظه سقيمة وتراكيبه ركيكة وبين أولئك وهؤلاء نفر قليل عدهم ، قوي حججهم ، فضلو ما جمع إلى حسن اللفاظ ، ومنانة التركيب ، شعورا عصريا يوائم ثقافة هذا العصر وإنائمه المؤمنين بتطوره ، وهؤلاء هم في الحقيقة المجددون .

أما التقليد فهو ذميم ، سواء كان تقليدا لشعراء العرب الأقدمين ، أو لشعراء الغرب المحدثين ، فإن لكل أمة شعورا لا يتفق في الغالب وشعور أمة أخرى ، قد فرقت بينهما سنة الوراثة في أجيال بعد أجيال ، كما أن الموسيقى عندهما لا تتفق .

والجديد من الشعر هو ما كان مشبعا بالشعور المصري ، وكان لذلك الشعور تأثير في شعور الآخرين ، يهجه فيهم كأنه الكهرياء ، وكانت الفاظه بمثابة الأسلاك الموصلة لذلك الكهرياء ، مستوفية لجمال اللغة ، وموسيقى الوزن ، سواء كانت من أوزان الخليل أو غيرها . ولما كان التقليد تكرارا لشعور هو لغير صاحبه ،

وكانت المبالغة ضرباً من الكذب لا صلة لها بالشعور ، كنا وخيمين لا يعضهما
العصر الحاضر .

واحسن الشعر في نظري ما استند الى الحقائق اكثر من العواطف والخيال
البعيد عنها ، فكانت حصة العقل فيه اكثر من حصتها . وفي الشعر القديم
ولا سيما شعر العواطف منه كثير من الجيد الخالد ولكن تقليده اليوم غير
حميد ، فهو صدى لصوت قد تقدم فلا خير فيه . والفرق بين الشعورين القديم
والجديد : « ان الاول ضيق ، لضيق معارف اصحابه ؛ والثاني متسع لسعة
معارف اهلها ، ومن هنا تعرف ان ما يطلب من الشاعر المصري اكثر مما يطلب
من المتقدمين وان ما يرفع هذا غير ما يرفع ذاك ، وان كان كل منهما صادقاً
في شعوره .

وللشاعر ان يجمع في بعض قصيدته اكثر من مطلب ، بشرط ان يكون
بين مطالبها صلة تربط حلقاتها المتعددة ، واحسب ان هذا اقرب الى طبيعة
التفكير أو الاحساس ، فانهما لا يأتيان إلا في صورة امواج ، هي فورات
النفس وثوراته ، يستقل كل منها عن الاخرى ، وتكون القصيدة حينئذ اشبه
بباقية من مختلف الازهار مع تناسق في الوانها .

وقد يختلف ما يشعر به شاعر عما يشعر به آخرون في موضوع واحد ،
فتقوم عليه قيامة هؤلاء يتقدونه رامين اياه بالسفه في الرأي لا لشيء غير انه شعر
بما لم يشعروا به أو نظم في طريقة لم يألّفوها ، وهو بالاكبر اول لانها
مبتكر اتى بما هو جديد . وهكذا كل مجتهد هو غرض لسهام مخالفه ، أو حاسديه
وقد يسليه علمه ان العاقبة له .

ولقد نشر لي بيروت في اول سنة السنور الثماني ، ديوان باسم « الكلم
المنظوم » . ونشرت لي في مصر سنة ١٩٢٤ طائفة من الشعر غير قليلة باسم
« ديوان الزهاوي » وهذه مقسومة الى اقسام جمعت الى الجيد من الشعر مالم
استحسنه بعد المراجعة . وطبعت لي بيروت في السنة نفسها ، رباعيات باسم
« رباعيات الزهاوي » طبعاً سقيماً كشرت فيه الاغلاط فاحسب ان اختار من
الفواوين الثلاثة ومن « الثمالة » — هي ديوان رابع لي لم يطبع بعد . وقد نظمت

قصائدها بعد طبع الديوان بمصر — أعلق ما فيها بي من غيرها ان لم يكن احسنه وانتشر في ديوان واحد باسم «اللياب» ، فاعرض به على الانظار ما يمثل شعوري الذي قد ينافي شعور غيري فتقرأ هذه الانظار فيه شخصيتي وان ضولت وقد فعلت، فان احسنت فلننسي وان أسأت فعليها .

وقد كثر اللفظ في مصر وسورية والعراق حولي، فمن قائل انه لا فيلسوف ولا شاعر ، بل هو عالم يحكم العقل والمنطق فيما يكتبه ، او ينظمه ؛ وقائل انه شاعر لا فيلسوف ؛ وقائل انه فيلسوف لا شاعر ؛ وعجب يقول انه فيلسوف وعالم وشاعر معا ؛ وحاقد يقسم باحراج الايمان انه لا عالم ولا فيلسوف ولا شاعر . ومن الذين عدوني شاعرا من ينهب الى اني متطرف في التجديد ، ومنهم من يرى اني مقلد للارث البالي من القديم . اما انا فلا ادعي اني شي، مما اختلفوا فيه ، وانما لي آراء في الكون والحياة والاجتماع ، قد ادعتها وكلم موزونة هي في الغالب من بنات شعوري قد نشرتها للناس ان لا يمدوا تلك الآراء من العلم أو الفلسفة ، وتلك الكلم من الشعر ، أو لا يمدوا ذلك الشعر من الجديد . فانا لم اقل شعري إلا لتنفيسي . فحسب شعري ان ترضى عنه نفسي ونفسي راضية عنه ، فلا يهمني بمد ذلك ان يرضى عنه من لا صلة بين شعوري وشعوري :

لقد اظهرت مقنا لها عند نقدها	لشعري ناس كان يمجتها شعري
ولست أبالي بالذين يرونه	بعيدا عن المؤلف من صور الفكر
وما كنت في شعري لغيري مقلدا	وما ابعد التقليد عن شاعر حر !
تصوره عقلي وابرز لونه	خيالي الى حد وجاش به صدري .

ولست ادعي ان كل ما جمعت من الشعر في هذا الديوان جديد ، بل اني سائر فيه الى التجديد ، وقد مشيت فيه شوطا وهو ما يعترف به النصف . وينكره الحاقد . ورتبته على خمسة اقسام بحسب ازمائه : الاول ما قلت اكثره بعد سفري الاول الى عاصمة الدولة العثمانية سنة ١٨٩٦ . والثاني ما قلته بعد الدستور العثماني . والثالث ما قلته بعد الاحتلال ، ومن هذا القسم رباعياتي التي نشرت في بيروت . والرابع ما قلته بعد سفري الى سنة ١٩٢٤ . والخامس

ما قلت أكثر بعد عودتي الى بغداد .

ولما كانت غايتي من هذا الديوان جمع ما وقع عليه اختياري من قصيدي وقد اسقطت كثيرا مما يربط البيت باخيه لم يبق في اكثرها الاطراد المطلوب ففصلت بين قسم وآخر من القصيدة بخط تنبها على ان هناك اياتا قد حذفتها . وعسى ان لا يلتبس مثل هذا بالفواصل الطبيعية منها .

جميل صدقي الزهاوي

بغداد : في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٨

ساعة في سدة الهندية

Une heure au Barrage de Hindyeh.

استدعت الحكومة العثمانية في عام ١٩٠٩ م المهندس الانكليزي المعروف بالسير وليم ويلكوكس لاقامة سد يحكم على الفرات بالقرب من قصبة المسيب ليمنع المياه الوفيرة من الانحدار نحو الجنوب من دون ان تستفيد منها مزارع الفرات الاوسط فائدة تذكر . ويكون « الناظم » هو الحكم في توزيع المياه على المزارع والمدن القائمة على عنونه توزيعا عادلا يدر على الزارع والفلاح افضل الخيرات والبركات .

وقد اضطرت الحكومة البائدة الى استدعاء المهندس المشار اليه للقيام بهذا العمل الخطير على اثر انهيار السد الذي اقامه في عرض النهر المذكور المهندس الافرنسي المسيو شندوفر عام ١٨٨٥ م ، عندما بدأ الفرات يتحول عن مجراه الطبيعي فيتدفق بغزارة في شط الهندية من دون ان يأخذ جدول الحلة منه قطرة الوافر ، والذي يطلع على خارطة المراق وانهاره ، ولم بمواقع فدنه ومزارعه يترك — بلا ريب — حاجة المزارع الواقعة على نهر الحلة الى مياه غزيرة دائمة حتى لا يعرّض القمح فيستحوذ على مكانه كما استحوذ عليهم عام ١٨٧٨ م . فلهذا السبب مست الحاجة الى وضع « ناظم » لماء الفرات واصبح ذلك الشغل